الفصل الرابع

فى عهد أبي بكر

أيقن عمر أن رسول الله قد مات ، فأخذ يفكر فى مصير المسلمين من بعده . وكان الأمر جديراً بأعمق التفكير ؛ فلو أن العرب تنازعوا أمرهم بينهم لأصاب الإسلام شرٌ ما له من دافع . فقد كان البعيدون عن مكة والمدينة ، فى مختلف الأرجاء من شبه الجزيرة ، لا يخفون برمهم بسلطان قريش وسلطان المدينة . وبرمهم بهذا السلطان هو الذى أثار الأسود العنسى فى اليمن ، وهو الذى دفع بنى حنيفة من أهل اليمامة ليتابعوا مسيلمة ابن حبيب حين زعم أنه نبي ، ودفع بنى أسد ليتابعوا متنبئهم طليحة بن خويلد . فما عسى أن يكون مصير الإسلام بعد رسول الله إذا لم يحزم المسلمون أمرهم ، ولم يواجهوا هذا الحادث الجلل بوحدتهم وثبات عزمهم ؟

فكر عمر فى هذا الأمر لأول ما أيقن أن رسول الله قد مات . وسرعان ما تبين فى وضوح أن الأمر إذا ترك فلم يتوله فى الحال من ينهض به ويدبر سياسة المسلمين ، أوشك المهاجرون والأنصار أن يختلفوا ، وأوشكت الثورة أن تضطرم فى بلاد العرب كلها . لذا أسرع يشق طريقه خلال المجتمعين بالمسجد يتحدثون فى وفاة رسول الله ، وسار حتى أتى أبا عبيدة عامر بن الجراح ، فقال له : « ابسط يدك أبايعك ، فأنت أمين هذه الأمة على لسان رسول الله » . ووجم أبو عبيدة حين سمع مقالة عمر ، وأدرك ما أدركه من ضرورة البت العاجل فى أمر المسلمين ، لكنه لم يرض رأى عمر ، بل حدق فيه وقال له : « ما رأيت لك فهَّة[1] قبلها منذ أسلمت ! أتبايعنى وفيكم الصديق وثاني اثنين ! » وإن الرجلين ليتبادلان الرأى فى هذا الأمر الخطير إذا جاءهم النبأ بأن الأنصار اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة يريدون أن تكون الإمارة على المسلمين لهم . عند ذلك أسرع عمر فأرسل إلى أبى بكر فى بيت عائشة ليخرج إليه . ورد أبو بكر الرسول يقول : « انى مشتغل » ، لكن عمر رأى أمر المسلمين أخطر من أن يترك لحظة أو يشغل عنه شاغل ولو كان جهاز رسول الله ، لذا بعث كرة أخرى يقول لأبى بكر : « إنه قد حدث أمر لابد لك من حضوره » .

(١) الفهة : السقطة والجهلة .

وخرج أبو بكر يسأل : أى أمر يمكن أن يصرفه عن جهاز رسول الله ؟ قال عمر : « أما علمت أن الأنصار اجتمعت فى سقيفة بنى ساعدة يريدون أن يولوا هذا الأمر سعد بن عبادة ، وأحسنهم مقالة من يقول : منا أمير ومن قريش أمير ؟ » ورأى أبو بكر خطر الموقف ، فأسرع ومعه عمر وأبو عبيدة يريدون السقيفة .

فلما بلغوها تولى أبو بكر مجادلة الأنصار فى حزم ورفق . أما عمر فأقام إلى جانبه ينتظر ما يصير إليه الأمر . فلما رأى الحباب بن المنذر يحرض الأنصار ليثوروا إن لم يكن منهم أمير ومن المهاجرين أمير قام فقال : « هيهات ! لا يجتمع اثنان فى قَرن ! والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ! ولكن العرب لا تمتنع أن تولى أمرها من كانت النبـوة فيهم وولى أمورهم منهم ! ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين . من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته ، إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم ، أو متورط فى هلكة ! » . ورد الحباب يطلب إلى الأنصار إجلاء المهاجرين عن المدينة أو يتولوا عليهم الأمر ، ثم وجه الحديث إلى المهاجرين الثلاثة يقول : « أما والله إن شئتم لنعيدنها جَذَعَة » . فصاح به عمر : « إذاً يقتلك الله ! » . ورد الحباب : « بل إياك يقتل ! » .

حركت هاتان العبارتان النفوس إلى الثورة ، فتدخل أبو عبيدة بن الجراح فى الأمر وقال موجهاً حديثه إلى أهل المدينة : « يا معشر الأنصار ! كنتم أول من نصر وآزر ، فلا تكونوا أول من بدل وغيّر » .

سكّنت هذه العبارة ثورة النفوس ، فعاد القوم يتجادلون بالحجة ، وانضم بشير بن سعد من زعماء الخزرج إلى المهاجرين فشق كلمة الأنصار . وقدر أبو بكر أن الأمر استوى وأن اللحظة لحظة الفصل ، فقام يدعو الأنصار إلى الجماعة ويحذرهم الفرقة ، ثم أخذ بيـد كل من عمر وأبي عبيدة ونادى : « هذا عمر وهذا أبو عبيدة ، فأيهما شئتم فبايعوا ! » ورأى عمر الناس اختلفوا فلم يدع للخلاف أن تنبت شجرته ، فقام فنادى بصوته الجهورى : « أبسط يدك يا أبا بكر ! » . وبسط أبو بكر يده فبايعه عمر وهو يقول : « ألم يأمر النبي أن تصلى أنت بالمسلمين ! فأنت خليفة رسول الله ، فنحن نبايعك لنبايع خير من أحب رسول الله منا جميعاً » . وبايع أبو عبيدة أبا بكر وهو يقول : « إنك أفضل المهاجرين وثانى اثنين إذ هما فى الغار ، وخليفة رسول الله على الصلاة أفضل دين المسلمين . فمن ذا ينبغى له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك ! » . وتتابع أهل السقيفة فبايعوا أبا بكر مجمعين ،

لم يندّ عنهم إلا سعد بن عبادة . فلماتمت البيعة عادوا إلى المسجد يتلقفون الأنباء من بيت عائشة عن جهاز الرسول . فلما كان الغد جلس أبو بكر فى المسجد ، وقام عمر يعتذر إلى المسلمين عما ذكره من أن النبى لم يمت فقال : « إني قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدت فى كتاب الله ، ولا كانت عهداً عهده إلىّ رسول الله ، ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله سيدبر أمرنا ويبقى ليكون آخرنا . وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى هدى به رسوله ، فإن اعتصمتم به هداكم الله كما هداه به . وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثاني اثنين إذ هما فى الغار ، فقوموا فبايعوا ». وقام الناس جميعاً فبايعوا بيعة العامة بعد بيعة السقيفة .

هذا أول موقف لعمر بعد وفاة رسول الله . وهو كما ترى موقف حزم وبعد نظر وحسن سياسة بل هو موقف يرشح عمر للإمارة . ويشهد بجدارته لتولى سياسة الدولة الناشئة ، مع إنكاره لذاته وتوجهه بكل تفكيره لخير الجماعة وحسن نظامها . لقد كان أشد الناس جزعاً لوفاة رسول الله فلم يصدق حدوثها ، فلما تيقنها لم يملك الجزع عليه تفكيره ، ولم يصرفه الحـزن عن التحدث إلى أبي عبيدة فى أجل شأن المسلمين خطراً : فى تدبير أمورهم وتوجيه سياستهم . وهو لم يكن يبتغى الأمر لنفسه على جدارته به ، بل كان يفكر فيه تفكيراً منزهاً عن الأثرة والهوى . لذلك أسرع يريد أن يبايع أبا عبيدة ، فلما نبهه أمين الأمة إلى أن الصديق أحق المسلمين جميعاً بالأمر لم يتردد فى إقرار رأيه . ولم يلبث حين عرف اجتماع السقيفة أن دعا أبا بكر ليواجهوا الأنصار فيه ، ثم لم يصرفه عن مواجهتهم ما قيل له من أن الأنصار قر رأيهم فلن يعدلوا عنه . وذهابه مع صاحبيه إلى السقيفة هو الذى أدى إلى بيعة أبى بكر ، وإلى اجتماع كلمة المسلمين .

لم يكن موقف عمر فيما قيل من تخلف على بن أبي طالب وبنى هاشم عن بيعة أبي بكر دون موقفه فى السقيفة حزماً وحسن سياسة . أنا فى ريب من روايات التخلف عن البيعة ، وقد أبديت هذا الرأى حين فصلت بيعة أبي بكر [1] . لكنى لا أستطيع مع ذلك أن أجزم بأن علياً وبنى هاشم أقبلوا على البيعة راضين إقبال غيرهم من المسلمين . والثابت أن فاطمة ابنة رسول الله ظلت مغاضبة أبا بكر إلى أن توفيت . أفكان ذلك لحرمان الصديق إياها ما طلبته ميراثاً لها من أبيها ، أم لأنها كانت ترى زوجها أحق من أبي بكر بالخلافة ؟ ذلك ما اختلف فيه . فأما الذى لا خلاف عليه فذلك أن عمر كان يرى رأى أبى بكر أن تركة النبى صدقة

(١) صفحة ٤٩ وما بعدها من كتاب « الصديق أبوبكر » .

لا تورث ، ولا ريب أن رأيه هذا أغضب فاطمة . أفأدى غضبها إلى ثورة علىّ وإلى تهديد عمر وأخذه الأمر بالحزم ؟ أياً كان ما حدث فقد ترك ما روى عنه أثراً فى تاريخ الإسلام لا يزال باقياً . وأقل هذا الأثر عدم إكبار الشيعة وغيرهم من العلويين عمر ، بل عدم رضاهم عنه .

كانت سياسة أبى بكر بعد بيعته ألا يدع أمراً كان رسول الله يصنعه ، وألا يصنع أمراً كان رسول الله يدعه . لذلك كان أول ما أمر به فى خلافته أن يتم بعث الجيش الذى جهزه رسول الله بإمرة أسامة بن زيد لغزو الروم بالشام . وقد برم المسلمون بهذا الأمر كما برموا به فى عهد رسول الله ، لأن أسامة كان حدثاً لما يبلغ العشرين . وزاد فى برمهم خشيتهم أن تتعرض المدينة للخطر إذا غاب هذا الجيش عنها وانتقض العرب عليها وقاموا يناوئون سلطانها . لذلك قالوا لأبى بكر : « إن هؤلاء – أى جيش أسامة – جل المسلمين . والعرب على ما ترى قد انتقضت بك ، فليس ينبغى أن تفرق عنك جماعة المسلمين » وأجابهم أبو بكر فى حزم : « والذى نفس أبى بكر بيده ، لو ظننت أن السباع تخطفنى لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يبق فى القرى غيرى لأنفذته » .

أفكانت سياسة عمر فى هذا الموقف كسياسة أبى بكر حزماً وقوة ؟ ذكروا أن أسامة طلب إلى عمر أن يستأذن أبا بكر فى دعوة الجيش إلى المدينة ليكون عون الخليفة على المشركين . وقالت الأنصار لعمر : « فإن أبى إلا أن تمضى فأبلغه عنا واطلب إليه أن يولى أمرنا رجلا أقدم سنًّا من أسامة » . ولم يرفض ابن الخطاب طلب أسامة ولم يرفض طلب الأنصار ، بل ذهب إلى أبى بكر فأبلغه ما قالوا . فكان رد الخليفة : « لو خطفتنى الكلاب والذئاب لن أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وقال فى طلب الأنصار : « ثكلتك أمك وعدمتك يا بن الخطاب ! استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرنى أن أنزعه ! »

سار جيش أسامة وفيه جلة المسلمين مهاجريهم والأنصار . وفيه عمر بن الخطاب شأنه شأن رجل منهم يدين بالولاء لأسامة أمير الجند . وسار أبو بكر يودع الجند ويوصيهم . فلما آن له أن يرجع ، قال لأسامة : « إن رأيت أن تعينى بعمر فافعل » . وأذن أسامة لعمر أن يدع الجيش وأن يرجع مع أبى بكر .

من الحق علينا أن نقف هنيهة ننبه إلى هذا الاختلاف فى الاتجاه السياسى بين أبى بكر وعمر . فقد كان أبو بكر متبعاً وليس بمبتدع ، فما صنع رسول الله هو لا محالة يصنعه .

وللمسلمين أن يقولوا ما شاءوا ، وأن يخالفوه عن رأيه ، فلن يسمع لهم ما كان يصدر عن أمر رسول الله . وقد أمر رسول الله أن يتم بعث أسامة فليتم . ليختلف المهاجرون والأنصار ، ولتثر شبه الجزيرة كلها . ولتتعرض المدينة لما عسى أن تتعرض له من خطر ، كل ذلك لا يمكن أن يصرف الصديق عن إنفاذ ما أمر رسول الله بإنفاذه ، أليس الله قد اصطفاه وأوحى إليه كتابه ، ووعده النصر وأن يحفظ دينه ! فكيف تطوع لمسلم نفسه ألا ينفذ أمره ! وكيف لخليفته الأول أن يكون أول مخالفيه .

وكان عمر يرى واجباً على السياسى أن يقيم وزناً لكل ما حوله من الأحداث . ومن هذه الأحداث أن خلاف المهاجرين والأنصار لم يظهر فى عهد رسول الله ما ظهر فى اجتماع السقيفة ، وأن انتقاض العرب على سلطان المدينة لم يبلغ حد الثورة إلا حين ذاعت الأنباء بوفاة رسول الله فى مختلف الأرجاء من شبه الجزيرة . إن المسلمين قد كانوا يدينون لأمر رسول الله عن إيمان وتسليم ، وليس من حق أبي بكر أن يطمع فى أن يدينوا له كما كانوا يدينون للرسول المصطفى من عند الله . فجدير بالخليفة أن يقيم لهذه الأمور وزنها ، وجدير به ، وقد انقطع الوحى بوفاة الرسول ، أن يكون السياسى الذى يدبر الأمور بثاقب نظره وحسن بصره بالأمور ، بعد أن لم يبق لغير البصر بالأمور تدبير أو سلطان .

هذا اختلاف جوهرى بين الرجلين فى سياسة الدولة ، لكن هذا الاختلاف لم يكن ليجنى على تقدير أحدهما صاحبه ومحبته إياه واحترامه له . لذلك أدى عمر لأبي بكر حقه . فلم يصنع أكثر من أن أبلغه رأى المسلمين وأيده بحجته . فلما أصر الصديق على رأيه سار عمر فى الجيش جندياً مجاهداً فى سبيل الله بإمارة أسامة . وما كان له ألا يفعل وقد بايع أبا بكر وأقر له بخلافة رسول الله . وأدى أبو بكر لعمر حقه ، فاصطفاه وزيراً يشير عليه كما كان يشير على رسول الله . وكذلك ظلت علاقات الرجلين علاقات مودة صادقة واحترام متبادل وتعاون وثيق لخير الإسلام والمسلمين .

وقد حدث مثل هذا الاختلاف فى الرأى بين الرجلين وجيش أسامة لا يزال فى الشمال من شبه الجزيرة يقاتل أنصار الروم . ذلك حين أرادت قبائل عبس وذبيان القريبتين من المدينة أن تمنعا الزكاة . فقد رأى أبو بكر أن يقاتلهم ، ودفع حجة مخالفيه فى الرأى بقوله : « والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ! » . وكان عمر من هؤلاء المخالفين القائلين بموادعة من أرادوا منع الزكاة والاستعانة بهم على المرتدين ، وقد كان عنيفاً فى تأييد رأيه ، حتى لقد وجه الكلام إلى أبي بكر فى شىء من الحدة

يقول : « كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فمن قالها عصم منى ما له ودمه إلا بحقها وحسابهم على الله ! » . وأجاب أبو بكر على اعتراض عمر بقوله : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، وقد قال : إلا بحقها » . مع هذا الخلاف فى الرأى ، ومع أن أبا بكر حمل التبعة كاملة فقاتل الذين منعوا الزكاة وظفر بهم ، لم يتغير ما بين الرجلين من ود ، وسار عمر إلى جانب الصديق مجاهداً فى صفوف المسلمين . إنه رجل نظام ، وأبو بكر هو المسئول عن شئون الدولة . فواجب عمر أن يشير برأيه ، وواجبه كذلك أن يطيع أمر الخليفة متى أمر . وقد فعل ، ثم بقى الوزير الذى يسمع لقوله وتقدر مشورته .

ظفر أبو بكر بالذين منعوا الزكاة ، فكان ظفره حجة ملموسة لرجاحة رأيه وحسن سياسته . ويروى عن عمر فى هذا الشأن أنه قال : « والله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق » . فلما عزم أبو بكر بعد هذا النصر أن يقاتل المرتدين فى أرجاء شبه الجزيرة جميعاً لم يخالفه أحد . ولعل المسلمين رأوا فى الرجل الذى لزم الرسول عشرين عاماً سوياً نفحةً من روح الرسول جعلته يرى بنور الله مالا يرون ، ويلهم من الرأى مالا يلهمون . وسارت جيوش المدينة بإمرة عمرو بن العاص وخالد بن الوليد إلى قضاعة وإلى بنى أسد تحارب المرتدين وتردهم إلى دين الله ، والمسلمون مطمئنون إلى نصر الله جنده المجاهدين فى سبيله ، وابن الخطاب مقيم إلى جانب الخليفة يشير عليه بالرأى ويدبر وإياه سياسة الدولة .

وقضى خالد بن الوليد على الردة فى بنى أسد ، وانتقل من منازلهم إلى البطاح يقضى على الردة فى بنى تميم ، فقتل زعيمهم مالك بن نويرة وتزوج من امرأته[1] ، مخالفاً بذلك تقاليد العرب إذ كانوا يجتنبون النساء فى الحرب .

غضب أبو قتادة الأنصارى لمقتل مالك بن نويرة بعد ما أظهر إسلامه ، وظنها حيلة من خالد ليتزوج الجميلة ليلى ، وكان يقال إنه يهواها فى الجاهلية . وذهب أبو قتادة ومتمم بن نويرة أخو مالك إلى المدينة ، ولقيا أبا بكر وقصّا عليه ما رأيا ، فلم يزد على أن ودى مالكاً ، وكتب برد السبى ، ثم أنكر على أبى قتادة أن يطعن فى خالد أو أن يتهمه . وتحدث أبو قتادة إلى عمر بن الخطاب ، فشاركه عمر فى رأيه وانطلق يطعن معه على خالد وينال منه .

(١) راجع تفصيل ذلك فى الفصل الثامن من كتاب « الصديق أبو بكر » .

ثم إنه ذهب إلى أبي بكر محنقاً وقال له : « إن فى سيف خالد رهقاً ، وحق عليه أن يقيده » . ولم يكن أبو بكر يُقيد من عماله . لذلك قال حين ألح عمر عليه : « هبْه يا عمر تأول فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد » . ولم يكف هذا الجواب عمر ، فلم يكفَّ عن المطالبة بعزل خالد ، حتى ضاق الخليفة بإلحاحه فقال له : « لا يا عمر ! ما كنت لأشيم سيفاً سله الله على الكافرين ! » .

هذا جواب حاسم لا ريبة معه فى أن أبا بكر لن يعزل خالداً . أترى عمر اكتفى به ، مطمئناً إلى أنه أدى واجبه فى المشورة ، وإلى أن واجبه بعد ذلك أن ينزل على رأى الخليفة وألا يثير الشبهة فيه ؟ كلا ! فقد كان عمر ثائراً بخالد ثورة جعلته يبالغ فى النيل منه ، فيجمع من حوله متمماً وأبا قتادة ومن لف لفهما ، ويستنشد متمماً شعره فى رثاء مالك ، ويظهر الرضا عنه وعما يقول . وكيف لعمر أن تطيب نفسه فيسكت عن رجل قتل امرأً مسلماً ونزا على امرأته ، فوجب رجمه ! ليكن هذا الرجل سيف الله ! وليكن خال عمر وابن عم أمه ! وليكن له من الفضل فى قتال المرتدين ما له ! إن الأمر يتصل بنظام الجماعة والمحافظة عليه . ولا شىء أضر بهذا النظام من التفريق بين الناس فى المعاملة . والتسامح مع أحدهم فى أمر يؤخذ به غيره ويعاقب عليه . لذلك لم يهدأ ثائره حتى استدعى أبو بكر خالداً إلى المدينة ، ولا يشك عمر فى أن الخليفة سينتهى إلى رأيه فيعزل القائد العبقرى ، لكن أبا بكر لم يصنع إلا أن عنف خالداً على التزوج من امرأة لم يجف دم زوجها ، ثم تجاوز عما كان من قتله مالكاً ومن معه من بنى تميم ، وأمره أن يسير ليلقى مسيلمة ورجاله باليمامة ، مطمئناً إلى أن الله سينصر خالداً على بنى حنيفة ، فيصهره النصر وينسى الناس زواجه من ليلى .

لم يتزحزح عمر مع ذلك عن رأيه فيما صنع خالد وفى وجوب عزله وكان لهذا الإصرار أثره من بعد حين تولى عمر إمارة المؤمنين ، فقد عزل خالداً عن إمارة الجيش أول ما تولى ، ثم عزله من بعد ذلك عن عمله فى الجيش كله . وسنقص تفصيل ذلك ورأينا فيه فى مواضعه من هذا الكتاب .

لم ترو كتب التاريخ أن أبا بكر وعمر اختلفا فى أمر ما اختلفا فى أمر خالد . وهو اختلاف يتفق وطبائع الرجلين واتجاه كل منهما فى سياسة الدولة . فقد كان عمر يرى أن لا عذر لرجل عن إثم إلا أن يكفر عنه ، بذلك يستقر الأمر ، ويقوم نظام الحكم على أساس متين من المساواة الصحيحة . والكبراء الذين يأتمون أكبر جريرة عنده ، فالعفو عنهم

أشد على نظام الجماعة خطراً . أما أبو بكر فكان يذكر أن رسول الله هو الذى سمى خالداً سيف الله ، وأنه إذا وجب أن تدرأ الحدود بالشبهات فى أوقات السلم ، فأوجب أن تدرأ بها فى أوقات البأس والخطر . وقد كان المسلمون فى حاجة إلى خالد وعبقرية قيادته يوم استدعاه أبو بكر وعنفه أكثر من حاجتهم إليه من قبل. لذلك لم يعزله أبو بكر ، بل وجهه إلى مسيلمة باليمامة فقضى عليه ، ثم وجهه إلى العراق ففتحه ، ثم نقله إلى الشام فأنسى الروم به وساوس الشيطان .

أدى إصرار عمر على رأيه فى خالد أن يتسقط كل هناة له ، وأن يطلب إلى الصديق مؤاخذته بها . تزوج خالد إثر انتصاره باليمامة بنتاً بكراً ، فكتب الصديق يعنفه ويقول له : « لعمرى يا بن أم خالد إنك لفارغ ! تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتى رجل من المسلمين لم يجفف بعد ! » . ونظر خالد فى الكتاب فقال : هذا عمل الأعَيسر . والأعيسر عمر بن الخطاب . ولما فتح العراق وبلغ فيه منازل هذيل وقضى عليهم ، قتل رجلين معهما كتاب من أبي بكر بإسلامهما : ورأى عمر فى مقتلهما ما يؤاخذ خالد به ، وقال عن الرجلين : « كذلك يلقى مَن ماكَنَ أهل الحرب » .

يرى بعضهم عجباً أن يثور عمر بخالد كل هذه الثورة ، وخالد خال عمر ، وخالد سيف الله وناصر دينه . وقد يزيل من هذا العجب ما يرويه بعض المؤرخين من أن عمر كان سيئ الرأى فى خالد من قبل إسلامه ، وكان سيئ الرأى فيه حياته [1] . ولعل عمر لم ينس لخالد غزوة أحد وموقفه منها ، وانتصار المشركين على المسلمين بمهارته فيها ، ثم مهاجمته رسول الله لولا أن وقف عمر فى وجهه وصده عن غرضه . ومهما يكن من شيء فالثابت أن ابن الخطاب لم يحبب خالداً وإن لم يمنعه ذلك من تقدير قدرته والإعجاب بعبقرية قيادته . وكان خالد يبادل عمر هذا الشعور ، ويرى إصبعه فى كل أمر يجيئه من الخليفة لا يوافق هواه . وذلك قوله حين نقله أبو بكر من العراق إلى الشام : « هذا عمل الأعيسر ابن أم سخلة . حسدني أن يكون فتح العراق على يدى » .

من حقك أن تعجب لهذا الاختلاف الواضح بين أبي بكر وعمر فى أمر خالد بن الوليد . لكن من الحق عليك أن تعجب بهذين الرجلين العظيمين كيف لم يغير هذا الاختلاف البين من مودتهما ومن وثيق تعاونهما لخير الإسلام والمسلمين . فقد ظل عمر على ولائه

---

(١) يقول اليعقوبي فى تاريخه : «كان عمر سيئ الرأى فى خالد على أنه ابن خاله ، لقول كان قاله فى عمر» . والتعبير بابن خاله توسع من اليعقوبي .

لأبي بكر وعلى عهده معه ؟ يؤدى واجبه فى الإدلاء بالمشورة ، وينفذ أمر الخليفة بإخلاص تام فى كل ما يعهد الخليفة إليه فى تنفيذه . وقد ظلت ثقة الصِدّيق بعمر كما كانت ، لم يَعرُها وهن ولم تتغير فى قليل ولا كثير . وهذا الإخلاص المتبادل وهذه الثقة الأكيدة هما ملاك النظام فى الدولة ومصدر بأسها وقوتها . ولذلك بلغت المملكة الإسلامية فى عهد هذين الرجلين شأواً لم يتح لمملكة غيرها فى العالم كله ، وظل اسم أبي بكر واسم عمر فى صحف التاريخ علماً على الصدق والأمانة والقوة ، ولا يدانيه فى الجلال والعظمة علمٌ غيره .

أبي أبو بكر أن يُقيد من خالد بن الوليد لقتله مالك بن نويرة وتزوجه من ليلى ، ووَجهَهُ إلى اليمامة ، فكان نصره فيها حاسماً ، وكان إيذاناً من الله بالقضاء على الردة فى أرجاء شبه الجزيرة جميعاً ، وإن استشهد فيها من المسلمين ألف ومائتان . وقد جزع أهل المدينة لمن استشهدوا ، وكان عمر بن الخطاب من أشدهم جزعاً لمقتل أخيه زيد ، حتى لقد واجه ابنه عبد الله حين رجع إلى المدينة بقوله : « ما جاء بك وقد هلك زيد ؟ ألا واريت وجهك عنى ! » وأجابه ابنه فى صدق وإيمان : « سأل الله الشهادة فأعطيها ؟ وجهدت أن تساق إلى فلم أعطها » .

على أن جزع عمر لمقتل أخيه لم يثنه عن التفكير فى أمر هو أجل الأمور فى حياة الإسلام والمسلمين خطراً ، فقد كان فيمن استشهد عدد من حفاظ القرآن . فما عسى أن يكون الأمـــر إذا تلاحقت الغزوات فقتل فيها مثل من قتل من الحفاظ باليمامة ؟ فكر عمر فى هذا الأمر حتى استقر رأيه ، ثم ذهب إلى أبي بكر وهو بمجلسه من المسجد ، فقال له : « إن القتل قد استحر بقراء القرآن يوم اليمامة ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن كلها ، فيذهب قرآن كثير . وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن » .

فوجئ الصديق بهذا الاقتراح فكان جوابه : « كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » وأيد عمر رأيه بالحجة فأقنع أبا بكر ، فدعا زيد بن ثابت وذكر له ما دار بينه وبين عمر ، ثم قال له : إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك . كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمعه » وتردد زيد كما تردد أبو بكر ، ثم شرح الله صدره للذى شرح له صدر أبي بكر وعمر ، فقام فتتبع القرآن يجمعه من الرقاع والأكتاف والعُسُب وصدور الرجال . وكذلك كانت مشورة عمر هى التى أدت إلى جمع القرآن وإلى بقائه كما جمع من يومئذ ، حتى ليقول عنه المستشرق الإنجليزى وليم ميور : « والأرجح أن العالم كله ليس فيه كتاب غير القرآن ظل اثنى عشر قرناً كاملا ينص هذا مبلغ صفائه ودقته » .

وتذهب رواية إلى أن عمر أول من جمع القرآن فى المصحف . وهذا قول يخالف التواتر . على أن التواتر يقر بفضله فى المشورة على أبي بكر بالجمع وإقناعه به . فلو أن عمر لم يتنبه إلى ما قد يتعرض له القراء فى غير اليمامة من المواطن ، وما قد يترتب على ذلك من ذهاب قرآن كثير ، لما فكر الصّديق فى جمع القرآن ولما أقدم عليه . بل لو أن عمر لم يراجع أبا بكر حين قال : « كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله » ولم يقنعه بضرورة الجمع لما حرص أبو بكر عليه ، ولا دعا زيد بن ثابت ليقوم به . فإذا كان لأبي بكر من الفضل فى هذا العمل العظيم ما جعل على بن أبي طالب يقول : « رحمة الله على أبي بكر ! كان أعظم الناس أجراً فى جمع المصاحف » . فلا ريب فى أن عمر يشاركه فى الأجر والفضل جميعاً ، وفى أن المسلمين مدينون له دينهم لأبي بكر فى جمع كتاب الله . وهذه واحدة من نفحات روحه العظيمة ، ومن أجَلّ هذه النفحات وأعظمها خيراً وبركة .

لعلك رأيت فيما سبق ما بلغه عمر من مكانة فى عهد الصديق ، ورأيت أنه كان فى هذا العهد كما كان فى صحبة رسول الله رجل مشورة وحسن سياسة أكثر مما كان رجل مواقع وغزوات . بل لقد رأيته كيف خالف أبا بكر فى قتال من منعوا الزكاة ، كما ودّ قبل ذلك ألا يتم بعث أسامة . فلما رأى سياسة الجهاد والحزم تؤدى إلى الرفعة والنصر ، آمن بها ، وأيد أبا بكر فيها بكل قوته . أليست سياسة الجهاد هى التى قضت على الردة وأعادت المرتدين إلى حظيرة الإسلام ، وجمعت شبه الجزيرة إلى لواء واحد ؟ أو لم تفتح هذه السياسة أبواب العراق وتمهد للإدالة من دولة كسرى ؟ لا عجب إذاً أن يؤمن عمر بها ، وأن يندفع فى تأييدها اندفاعه فى تأييد كل ما يؤمن به .

لمّا تقدم خالد بن الوليد فى العراق ، ودوت أنباء نصره فى شبه الجزيرة وما حولها ، عزم أبو بكر على فتح الشام . وأصبح يوماً فدعا إليه أهل الرأى وعمر فى مقدمتهم ، وذكر لهم أن رسول الله كان عول أن يصرف همته إلى الشام ، فقبضه الله إليه ، واختار له ما لديه . « والعرب بنو أم وأب . وقد أردت أن أستنفرهم إلى الروم بالشام ، فمن هلك منهم هلك شهيداً ، وما عند الله خير للأبرار ، ومن عاش منهم عاش مدافعاً عن الدين ، مستوجباً عند الله عز وجل ثواب المجاهدين » . وطلب إليهم رأيهم فى ذلك ، فكان عمر بن الخطاب أسبقهم إلى إجابته ، قال : « والله ما استبقنا إلى شىء من الخير قط إلا سبقتنا إليه . قد والله أردت لقاءك بهذا الرأى الذى ذكرت ، فما قضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن ، فقد أصاب الله بك سبل الرشاد . سرب إليهم الخيل فى أثر الخيل ، وابعث الرجال تتبعها

الرجال ، والجنود تتبعها الجنود ، فإن الله عز وجل ناصر دينه ، ومقر الإسلام وأهله ، ومنجز ما وعد رسوله » .

لم يتحمس الحاضرون لهذه الدعوة مع ما كان من كلام أبي بكر وعمر ، بل تداولوا الحديث وقد أخذتهم هيبة الروم . فلما فرغوا منه عاد أبو بكر يدعوهم للتجهز فسكتوا . عند ذلك صاح فيهم عمر : « مالكم يا معشر المسلمين لا تجيبون خليفة رسول الله إذ دعاكم لما يحييكم ! » وهزت هذه الصيحة الحاضرين ، فرضوا الجهاد وإن آثروا أن يستعين الخليفة على عدوه بأهل اليمن وأهل شبه الجزيرة جميعاً .

نقف هنا وقفة أخرى ، فهذا التغير الذى طرأ فى اتجاه عمر ، وأدى به إلى تأييد سياسة الغزو بكل هذه القوة ، يعزز تصويرنا السابق لطريقة تفكيره ، ويزيدنا اقتناعاً بأنه كان رجلا عمليًّا لا يقيم وزناً للفكرة من حيث هى ، ولذاتها ، بل من حيث ما تترك من أثر فى واقع الحياة . ذلك ما ذكرناه حين صورنا طريقة تفكيره لمناسبة إسلامه . وانقلابه من سياسة الحذر إلى سياسة الغزو فى عهد الصديق يزيد هذه الصورة جلاء ووضوحاً . فهو قد كان للإسلام مباعدًا ، وكان على المسلمين حرباً حين لم يكن للمسلمين من البأس ما يحمل غيرهم على الاعتداد بهم ، فكان يرى وجودهم خطراً على نظام مكة وعلى مكانتها الدينية . فلما رأى المسلمين يثبتون على دينهم ويحتملون الأذى والتضحية فى سبيله ، ويبلغ بهم ذلك حتى يهاجروا عن وطنهم ، تبين له ما لهذا الدين الجديد من سلطان على نفوس من يدينون به . وأيقن أنهم لن يغلبوا . عند ذلك راجع نفسه وجعل يفكر فيما يسمع من القرآن ، حتى آمن بالله ورسوله وما جاء من عند الله ، فلما آمن أيد المسلمين بمثل القوة التى كان يحاربهم بها من قبل . وهو قد كان لسياسة أبي بكر فى القتال مباعداً . لم يطب نفساً ببعث أسامة ولم يرض قتال الذين منعوا الزكاة . فلما جهز أبو بكر المدينة لحروب الردة وقف بعيداً عن هذا التجهيز ، فلا يكاد المؤرخون يذكرون له يومئذ رأياً . لكن سياسة أبى بكر فى الغزو نجحت فقضت على المرتدين وفتحت العراق . عند ذلك انقلب عمر يؤيدها بكل قوته ، كما آمن فانقلب يؤيد الإسلام بكل قوته .

وقد كان لهذا الاتجاه الجديد فى تفكير عمر أثره من بعد فى استخلاف أبي بكر إياه ، وفى نجاح سياسة الفتح التى بدأها أول الخلفاء . وسنرى من بعد كيف أدت حماسة عمر لهذه السياسة إلى إقامة الإمبراطورية الإسلامية على أنقاض الإمبراطوريتين الفارسية والرومية .

على أن ما حدث يومئذ من تغير فى اتجاه عمر السياسى لم يصحبه تغير فى تفكيره

الاجتماعى . وكان تفكير عمر فى الناحية الاجتماعية يخالف تفكير الصديق فى طائفة من الأمور الجوهرية مخالفة تبلغ بعض الأحيان حد المناقضة . كان أبو بكر شديد الحرص على المساواة بين المسلمين لا يفرق فيهم بين عربي وعجمى ، ولا بين السابقين إلى الإسلام ومن دانوا بعدهم به . فُتح فى عهده منجم للذهب على مقربة من المدينة فكان يسوّى فى قسمة الذهب الذى يجىء منه بين المسلمين . وقيل له فى تفضيل السابقين إلى الإسلام على قدر منازلهم ، فكان جوابه : « إنما أسلموا لله ووجب أجرهم عليه ، يوفيهم ذلك فى الآخرة ، وإنما هذه الدنيا بلاغ » . ولقد دعا أهل مكة يشاورهم فى غزو الشام ويستمدهم إليه ، كما فعل مع أهل المدينة . أما عمر فكان يميل بتفكيره إلى نظام الطبقات ، كان يؤثر السابقين إلى الإسلام ، ويؤثر أهل البيت على هؤلاء السابقين ، وقد ترك هذا التفكير العمرى أثراً فى حياة المسلمين وفى سياسة الدولة الإسلامية وجه التاريخ الإسلامى فى كثير من الحقب ، ولا يزال باقياً إلى اليوم . وسنرى من ذلك ، حين الكلام عن الديوان وعن نظام الحكم ، ما لا يدع مجالا للريب فيه .

وهو لم يكن يخفى هذا الميل إلى تفضيل بعض الطبقات على بعض فى عهد أبي بكر . لما شاور الصديق أهل مكة فى غزو الشام واستمدهم إليه ، على نحو ما فعل مع أهل المدينة ، عارضه عمر فى ذلك معارضة أساسها الحرص على أن يكون للمهاجرين والأنصار من السابقين إلى الإسلام أولوية فى الرأى والسلطان على سائر المسلمين . وقد اعترض سهيل ابن عمرو رأى عمر فى ذلك وقال له : « ألسنا إخوانكم فى الإسلام وبنى أبيكم فى النسب ! أفتنكم أن كان الله قدّم لكم فى هذا الأمر قدماً صالحاً لم نؤت مثله قاطعوا أرحامنا ومستهينون بحقنا ؟ » . وأجابه عمر فى صراحة : « إني والله ما قلت ما بلغكم إلا نصيحة لمن سبقكم للإسلام وتحرياً للعدل فيما بينكم وبين من هو أفضل منكم من المسلمين » .

على أن ما رآه عمر من تفضيل السابقين للإسلام وتفضيل أهل بدر وتفضيل آل البيت ، لم يكن مصدره الهوى ، وإنما كان مصدره الاقتناع ، فلم يكن له أى أثر فى معاملته لهؤلاء جميعاً وفى عدله بينهم فى خلافة أبي بكر وفى خلافته . ذلك أنه كان مفطوراً على العدل ، كمل فى نفسه معناه وتجسمت فى بصيرته صورته . ولى القضاء فى عهد أبي بكر عامين فلم يختلف إليه متقاضيان . ولا ريب أن قد كان لاشتغال المسلمين بالغزو والفتح فى حروب الردة وفى فتح العراق والشام أثر فى ذلك كبير . ولا ريب كذلك فى أن ما اشتهر عن عمر من العدل قد كان له فيه أثر أى أثر . فمن العوامل التى تشجع الناس

على التقاضى طمع من لا حقّ له فى أن يخطئ القاضى فيضل طريق الحق ، أو يحابي فيحيد عن هـذا الطريق ، ولم يعرف الناس أن عمر كان يحابي فى الحق أحداً ، أو أنه كان ينظر فى الأمور بغير روية أو تمحيص يهديانه الحق ويكشفان له عنه . لا عجب وذلك شأنه ألا يذهب إليه متقاض يلتمس عنده غير الحق . ثم لا عجب أن يخشى الباغى سطوته ، فيرجع عن بغيه ويرد إلى صاحب الحق حقه .

وكان العدل فى فطرة عمر منذ نشأته ، ثم نمت فكرة العدل فى نفسه حتى بلغت الكمال ، لأنه سما بعقله وقلبه فوق شهوات هذه الحياة الدنيا ، فلم يجعل لها عليه سلطاناً . اشتغل بالتجارة صَدْرَ شبابه فكفاه منها أن ترزقه وترزق عياله رزق كفاف لا رزق نعمة وترف . وكان يذهب فى تجارته إلى العراق وإلى الشام واليمن ، فكان أشد حرصاً على مقابلة الأمراء والحكماء من أهل هذه البلاد ليزداد بالتحدث إليهم علماً ، منه على أن تزداد تجارته ربحاً فيصبح من الأغنياء . فلما أسلم اتجه به إسلامه شيئاً فشيئاً إلى ناحية التطهر ، فاتخذ من التقشف وسيلته إلى هذه الغاية . لذلك استغنى عما فى أيدى الناس ، فلم يكن له عند أحد منهم حاجة ، ولم يكن له فى أحد منهم مطمع أو مأرب . ولعل ما عرف عنه من غلظة قد دفعه إلى هذا التطهر وأعانه عليه ، فهو لم يكن يبالى أن يقول لكل إنسان كل ما يعتقده من غير مداراة أو التماس للرضا . ألم يذهب إلى رسول الله إثر عهد الحديبية يقول له : « ألست برسول الله ؟ أو لسنا بالمسلمين ؟ أو ليسوا بالمشركين ؟ فعلام نعطى الدنية فى ديننا ! » . ولم يكن عمر يصطنع هذه الجرأة معتزاً بها ما استغنى عن الناس ، فإذا احتاج إليهم دارى وتزلف ، فإنما يدارى ويتزلف من تُذلّهُ الدنيا وتستهويه ، فأما من أذل الدنيا مستغنياً عنها فهو أشد استغناء عن الزلفى وعن المداراة ، وذلك شأن المتطهرين أولى النفوس الكبيرة والقلوب المصفاة . وكان عمر فى الطليعة من هؤلاء .

هذه الصفات التى اجتمعت لعمر مالت به إلى إيثار الخير العام على نفسه وعلى أهله وذويه . وهذا التفكير الذى انتهى به إلى أن يؤمن بسياسة أبي بكر فى التوسع بالعراق والشام ، جعلت أبا بكر يراه أجدر من يخلفه على سياسة المسلمين . لكن فى عمر شدة وغلظة ترغبان بالكثيرين من أولى الرأى عن مودته . وأصحاب الرأى هم أعوان الخليفة فى سياسة الدولة . فإذا انقطعت المودة بينه وبينهم لم يسرعوا إلى معاونته بالرأى ، فشق عليه أن يسوسهم وأن يسوس الدولة بهم . أفلا يجمل بأبي بكر أن يوازن بين صفات عمر وحسن سياسته وبين ما فطر عليه من غلظة قد تفسد عليه الأمر ثم لا تكافئها سائر مزاياه ؟

فكر الصديق فى هذا الأمر حين شعر فى مرضه بأنه مشف على الموت . أتراه يدع المسلمين يختارون لأنفسهم ، فلا يشير عليهم فى الأمر برأى ولا يستخلف منهم أحداً ، وله أسوة فى رسول الله ؟ ! هذا أيسر طريق وأهونه . لكن الصديق ذكر سقيفة بنى ساعدة وموقف الأنصار بها ، وذكر ما كان موشكاً أن يحدث لولا أن جمع الله كلمة المسلمين على بيعته . ولئن اختلف المسلمون حين وفاته ليكونن اختلافهم أجسم خطراً ، فلم يبق الأمر دائراً بين المهاجرين والأنصار دون غيرهم بعد أن جاهد العرب ولا يزالون يجاهدون فى العراق والشام ، يواجهون فارس والروم . فإذا قبض واختلفوا ، أدى اختلافهم إلى فتنة قد تثور فى بلاد العرب كلها ، فتفسد الأمر وتقضى على سياسة التوسع وهو لا يزال فى بداءته.فأما إذا استخلف وجمع كلمة المسلمين على من استخلفه فقد اتقى ما يخشى . وإذا كان رسول الله لم يستخلف ، فذلك لئلا يظن الناس أن من استخلفه قد استمد الأمر على المسلمين بوحى من عند الله ، فأصبح خليفة الله . ولا خوف من مثل هذا الظن إذا استخلف أبو بكر ، فجنّب المسلمين الاختلاف ، وكفل لسياسة التوسع الاستمرار والنجاح . فليفعل ! وليكن عمر خليفته ! وليجمع كلمة المسلمين عليه ! وهو إن استطاع أن يجمعها فذلك التوفيق من الله توفيقاً ينصر دينه .

وأصبح فدعا إليه عبد الرحمن بن عوف فسأله عن عمر ، فقال : « هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ، ولكن فيه غلظة » قال أبو بكر : « ذلك لأنه يراني رفيقاً ، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه ، ويا أبا محمد قد رمقته فرأيته إذا غضبت على الرجل فى الشيء أراني الرضا عنه ، وإذا لنت له أراني الشدة عليه » . وانصرف عبد الرحمن ، فدعا الخليفة عثمان بن عفان فسأله عن عمر ، فقال : « اللهم علمى به أن سريرته خير من علانيته ، وأنه ليس فينا مثله » . وبعد انصراف عثمان شاور أبو بكر سعيد بن زيد وأسيد بن حضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار ، حريصاً على أن يجمع كلمتهم على خلافة عمر . وسمع بعض أصحاب النبي بمشاورات أبي بكر فى استخلاف عمر ، فأشفقوا من غلظة ابن الخطاب وشدته أن يفرق ذلك كلمة المسلمين ، فاجتمع رأيهم على أن يهيبوا بالخليفة ليرجع عن عزمه . واستأذنوا فدخلوا عليه ، فقال طلحة بن عبيد الله : « ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا ، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه ، فكيف به إذا خلا بهم بعد لقائك ربك ؟ ! » . وغضب أبو بكر لما سمع من ذلك وصاح بأهله : أجلسونى . فلما أجلسوه قال ، ولا يزال الغضب آخذاً منه مأخذه « أبالله تخوفونى !

خاب من تزود من أمركم بظلم ! أقول : اللهم استخلفت على أهلك خير أهلك ! » . ثم اتجه إلى طلحة فقال له : « أبلغ عنى ما قلت لك من وراءك » .

أشفق أبو بكر من هذا الحديث ألا يكون قد جمع كلمة المسلمين على الرضا بخلافة عمر له ، فقضى ليله مؤرقاً ، فلما أصبح دخل عليه عبد الرحمن بن عوف فبادله التحية . ثم تحدث الصديق وكأنما عناه ما حدث بالأمس فقال : « إني ولّيت أمركم خيركم فى نفسى ، فكلكم ورم أنفه من ذلك يريد أن يكون الأمر له دونه » وأجابه عبد الرحمن : « خفف عليك رحمك الله ! فإن هذا يهيضك . إنما الناس فى أمرك بين رجلين : إما رجل رأى ما رأيت فهو معك ، وإما رجل خالفك فهو مشير عليك . وصاحبك كما تحب ، ولا نعلمك أردت إلا خيراً ، ولم تزل صالحاً مصلحاً » .

لم يكتف أبو بكر بمشاورة أولى الرأى من المسلمين وبخاصة بعد أن رأى منهم من خالفه فى رأيه . لذلك أشرف من حجرة بداره على الناس بالمسجد ، فقال يخاطبهم جميعاً : « أترضون بمن أستخلف عليكم ؟ فإني والله ما ألوت من جهد الرأى ، ولا وليت ذا قرابة ، وإني قد وليت عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له وأطيعوا ! » وأجاب الناس : « سمعنا وأطعنا » عند ذلك رفع يديه إلى السماء وقال : « اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم ، وخِفت عليهم الفتنة فعملت فيهم ما أنت به أعلم ، واجتهدت لهم رأياً فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم وأحرصهم على ما أرشدهم » . وسمع الناس دعاءه فازدادت كثرتهم اطمئناناً لما صنع .

ودعا أبو بكر عمر فعهد إليه وأوصاه بمتابعة الحرب فى العراق والشام من غير هوادة ، وذكّره بما يجب على من ولى أمر المسلمين من تحرى الحق ، وبأن الله ذكر آية الرحمة مع آية العذاب ، ليكون العبد راغباً راهباً لا يثنى على الله غير الحق ، فإن فعل لم يكن غائب أحب إليه من الموت ، يحاسبه الله بعده فيثيبه عن الحق وإتباعه . فلما فرغ من وصيته خرج عمر من عنده وهو يفكر فى هذا الأمر الذى ألقى على عاتقه فود لو أن الصديق برئ من مرضه ليواجه موقفاً ما أدقه .

لكنه لم يتردد فى قبول ما ألقى عليه متى آن له أن ينهض بتبعته . إنها تبعة عظيمة وعبء جم المتاعب . لكن ! من لهذا العبء كابن الخطاب يحمله وينهض به ! ولقد حمله عمر بعزم وقوة ، فلم يترك هذه الدنيا حتى امتد الفتح الإسلامى فشمل فارس والشام ومصر ، وحتى قامت الإمبراطورية الإسلامية على أمتن دعامة وأقوى أساس .